Issue 6055 Monday 4/6/2018
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6055 الاثنين 19 من رمضان 1439 هـ 4 من حزيران (يونيو) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/201 . UK

### مقاربات عبد الحسين شعبان الدينية

# بين سخرية البائع المتجوّل للإلحاد وأبلسة الشيوعية

مهدي السعيد
لندن

يبدو لي أن عالم الثقافة يكاد يكون أكثر العوالم حيوية واتساعاً، قياساً لما يتضمنه من فضاءات ليس لها نهاية ، حيث تكون دائرته كل شيء يحيط بحياة البشر تقريباً. وإذا أراد المثقف " المفكر" أن يقتحم موضوعاً واحداً معنياً، فلا بدّ له أن يربط مثل هذا الموضوع بأمور الحياة المختلفة التي تواجه الإنسان، لكي تكتمل الصورة من جوانبها المختلفة، وبذلك يكون قد أدّى الرسالة، وهذا ما فعله بالضبط الدكتور عبد الحسين شعبان في كتابه " الإمام الحسني البغدادي... مقاربات في سوسيولوجيا الدين والتديّن"، الصادر عن دار إحياء تراث الإمام البغدادي في النجف الأشرف.

لقد وجدت وأنا أقرأ في هذا الكتاب القيّم، مواضيع أساسية ربّما تطرح على الملأ بهذا الشكل للمرة الأولى في تاريخ الثقافة العراقية المعاصرة. كما أنني اكتشفت أن ثمة تقارب "إبداعي" في أسلوب شعبان وأسلوب المسعودي في كتابه، الموسوعي "مروج الذهب" وتقترب نكهتهما عن بعضهما ، ولا عجب في ذلك فكلاهما يعيش ويتحرك في فضاء رحب حتى وإن فصلت بينه مئات السنين غير أن جذروه العراقية واحدة.

**مقدمات التوثيق**

الكتاب يتألف من 332 صفحة تبدأ المقدمة بـ "التمهيد"، ومن ثم المحتويات التي قسّمها إلى عدة أقسام وأولها " دين العقل وعقل الدين" حيث يتناول فيها بعض مقدمات " التوثيق" عن السيد محمد الحسني البغدادي. ويستهل الدكتور شعبان مجمل مواضيعه المطروحة في هذا الكتاب بعرض شفّاف حول العلاقة بين جهوده الفكرية والسياسية ونتاجاته المختلفة حول العلاقة الجدلية بين الدّين والسياسة.ويحاول أن يعكس من خلال ذلك طبيعة الجدل الدائر حول الاختلاف ما بين الإثنين منذ الستينات وحتى الآن، وبجرأة كبيرة يتناول العديد من العُقد الاجتماعية التي يستند إليها كلا الجانبين المتمثلين بالتيار الديني " وخاصة الحوزوي" والتيار العلماني المادي المتمثّل بالحزب الشيوعي العراقي. وبتحليل موضوعي لظاهرة اجتماعية واضحة المعالم تتمثّل في الموقف الديني من الحركة الشيوعية، إضافة إلى التفريق بين الدين والتديّن. ويقول في هذا الخصوص" أجد من الضروري مكاشفة النفس في واقعنا انطلاقا من العلاقة العضوية السسيوثقافية" بين الدين والتديّن، وتلك التي تشير إلى جهل الإنسان بذاته وبالآخر، وسواءً كان فرداً أم جماعة أم حتى مجتمعاً ".

ولغرض إزالة ما يحيط بهذه الحقيقة من غموض والتباس وتعارضات يذكر الدكتور شعبان أنه "ابن البيئة الدينية عائلياً ومدنياً وأعرف دروبها الوعرة بمنعرجاتها والتوائها ومنعطفاتها الحادة في سكونها أم في حركتها وأستطيع أن أتعامل معها بارتياح كامل وانفتاح حر" .

ويضيف "ليست المشكلة مع الدين، بل هي مع التديّن وإنْ كانت بعض النصوص الدينية لا تزال تقرأ بماضوية مفصولة عن عصرنا، أي بطرق سلفية عتيقة".

وفي مناقشته للإلحاد والتدين يحاول الدكتور شعبان أن يجد ثمة جسوراً وإنْ تبدو مظلّلة كظاهرة اجتماعية لا يمكن إلغاؤها أبداً، وبين المادية التي ظهرت وانتشرت في مجتمعات محكومة من قبل الكنيسة ورأس المال اليهودي. ويستنجد في فكرته هذه بأحد مؤسسي النزعة الفكرية للشيوعية ألا وهو فردريك إنجلز رفيق كارل ماركس "التاريخي" الذي انتقد الفيلسوف والطبيب الألماني لودفيغ بوخنر (1824–1899) بسخرية لاذعة حين اعتبره "بائعاً متجوّلاً للإلحاد ".

وهذا دليل على أن الفكر المادي وخاصة النظرية الماركسية لا يعنيها الدين بقدر ما يعنيها العامل الاقتصادي، وبالذات استغلال الفقراء وتحديداً الطبقة العاملة، أما مقولة ماركس " الدّين أفيون الشعوب"، فهي كما يشير إلى ذلك الدكتور شعبان فقد جاءت تعبيراً عن استغلال الكنيسة للجمهرة الواسعة من شرائح المجتمع آنذاك . ولم يكن ماركس آنذاك قد اطّلع على فلسفة الدين الإسلامي أو ما تبنّاه من مفاهيم العدالة الاجتماعية والمساواة والحرّية .

لقد انتقد ماركس هيمنة الكنيسة على مقدّرات الفقراء، حيث استخدمت الدين كذريعة من خلال التبشير بالجنة بدلاً من توفير مستلزمات المعيشة العادلة لهم. وانتقد أيضاً في كتابه " المسألة اليهودية" سيطرة اليهود على مقاليد الاقتصاد حيث مارسوا الربا وربطوا أغلب البنوك بهم وجوّعوا عموم الناس، وخاصة الطبقة العاملة المنتجة، أي البروليتاريا.

أما في القسم الثاني الموسوم بـ " الظاهرة الدينية : الذاتي والموضوعي" فقد تناول الدكتور شعبان فصولاً من السيرة الذاتية لسماحة السيد أحمد الحسني البغدادي (الحفيد) بعد أن انصبّ جهده الأساس لتسليط الضوء على الجد الكبير لربط الماضي بالحاضر ولاسيّما في الموقف من الاحتلال ،حيث عرض الخلفية التاريخية لعائلة السيد وعلاقة القرابة ما بين عائلته وعائلة الدكتور شعبان ، وعند لقائه أثناء زيارته لدمشق وناقشه حول العديد من قضايا الدّين والمتدينين والفتاوى التي ظهرت في فترة الستينات ضد الحزب الشيوعي العراقي وضد المادية عموماً، وكان النقاش قد بلور مخارج مقبولة من كلا الطرفين ربّما كان من الأجدر أن تظهر آنذاك منعاً لتفاقم المشكلة .وفي القسم الثالث الذي يحمل العنوان" ما بين الدّيني والسياسي" قال الدكتور شعبان مقولته التقديمية للسيد محمد الحسني البغدادي " أما بالنسبة للحسني البغدادي، فإنه بدأ ثورياً في مسيرته واستمر حتى آخر أيام حياته ، فموافقه الراديكالية وجذريته السياسية كانت متواصلة، خصوصاً إزاء القضايا المصيرية التي تهمّ الأمتين العربية والإسلامية "، ولكنه انتقده في مواقفه المحافظة إزاء التشدّد في الطقوس والشعائر مع إيمانه الشديد بحرية ممارستها وقارن بين الماضي والحاضر منتقداً استغلال ذلك لأهداف سياسية ضيقة وبما يعطل سير العمل في الدولة.

لقد رسم شعبان الملامح الحقيقية السياسية والأخلاقية لمرحلة السيد البغدادي فضلاً عن الكثير من تفاصيل الواقع الاجتماعي المرافق لسيرته المتميزة، وذلك خلال عرضه الدقيق لمجتمع النجف السياسي والاجتماعي في مطلع الستينات، حيث أشار إلى أنه مجتمع منفتح على نفسه ومتآزر قائم على أساس الاختلاف والتوحّد، حيث تجد في هذا المجتمع تنوّعاً فكرياً واضح المعالم، وكلّنا نعلم بأن مدينة النجف تضم مراقد الأئمة الأطهار وهي عبارة عن جامعة كبيرة تديرها الحوزة العلمية ويدرس فيها مئات من طلبة العلوم الدينية الذين ينتمون إلى عوائل نجفية عريقة وإلى الوافدين من أقطار إسلامية شتى، علماً بأن عديداً من أفراد هذه العوائل الدينية ينتسبون إلى الحزب الشيوعي، حيث لا ضير في ذلك طالما كان الهدف هو محاربة الظلم والظالمين.

وقد استثمر الشيوعيون في النجف وكربلاء والكاظمية الطقوس الدينية والشعائر الحسينية لرفع الشعارات السياسية وخصوصاً في العهد الملكي التي تندد بالاستعمار وتدعو إلى توفير الحقوق للعراقيين، مثلما كان لهم دور متميز في توجيه المواكب الحسينية في عاشوراء والمناسبات الدينية الأخرى.

أما القسم الرابع " جدليات الحوزة الدينية" فهو يشكّل بحثاً موسوعياً عن الواقع الذي يحكم دائرة "الحوزة النجفية " وموقف المرجعية الدينية تجاه الوضع السياسي في العراق والذي تمخّض في مطلع الستينات عن إقحام الدين في السياسة من خلال صدور عدد من الفتاوى التي تحرم عمل الحزب الشيوعي وتعتبر الشيوعية " كفراً وإلحاداً.

**نقد المواقف**

ولا يتحفظ الدكتور شعبان في نقد المواقف المؤطرة بالإطار السياسي الذي مارسته بعض المرجعيات الدينية تجاه الشيوعيين ومن بينهم الحسني البغدادي.

وكما يقول شعبان كنّا نعرف أن الحسني البغدادي متضايق من انحراف " الثورة "ويعني ثورة 14 تموز"، ومن هيمنة الشيوعيين وإرهابهم الفكري، كما مورست عليه بعض الضغوط من جماعة العلماء" التي تعمل بتوجيه من مرجعية الحكيم، وذلك بهدف اتخاذه موقفاً ضد الشيوعية، وعلى الرغم من تحفظه وتردّده لكنه عاد وأصدر " رأياً" نشر عام 1964 وحينها لم تكن الشيوعية تمثل خطراً على الحكم كما كانت في العام 1959.

وفي القسم الخامس يسلط الدكتور شعبان الضوء على ما حدث في الموصل وكركوك من تصادم بين الفئات العراقية المختلفة ودور الشيوعيين في تأزيم الوضع بالتحالف مع الأكراد، الأمر الذي أدى إلى مذابح بحق الخصوم آنذاك وبالأخص التركمان، وهو ما استغلته المرجعيات الدينية الشيعية والسنّية وحكم قاسم ذاته ويتناول أسماء المرجعيات التي حرمت عمل الشيوعيين من خلال فتاوى متتالية، ومنهم السيد محسن الحكيم وعبد الكريم الجزائري ومرتضى آل ياسين ومحمد الخالصي وغيرهم. ويعتبر شعبان أن الفتوى لم تضرّ بالحركة الشيوعية وحدها، ولاسيّما في الريف والمناطق البعيدة، في حين أن تأثيرها في النجف وكربلاء والكاظمية كان محدودا جداً، لكنها أضرّت بالحركة الدينية ذاتها، خصوصاً وقد وجهت إصبع اتهام لها في ظل الصراع الآيديولوجي القائم بين المعسكرين آنذاك وظروف الحرب الباردة.

هذا التوثيق لمرحلة مهمة من تاريخ العراق السياسي لم يحدث أن قام به أحدٌ من الكتّاب السابقين وقد بادر الكاتب إلى عرضه وتوثيقه ونقده بلغة معتدلة مثلما انتقد مواقف الآخرين .ويتناول شعبان في القسم السادس حالة الخلاف التي كانت قائمة بين قمة المرجعية الدينية في النجف الأشرف وخاصة بين البغدادي والحكيم ودخول شاه إيران على الخط ، وموقف البغدادي تجاه تدخل شاه إيران في المسألة السياسية داخل وخارج الحدود العراقية حيث كان البغدادي عدواً لشاه إيران والذي ساواه بإسرائيل.

وفي القسم السابع ناقش شعبان مسألة " الجهاد كفكرة دفاعية" حيث استبعدت من كتب رجال الدين منذ فترة طويلة على الرغم من أن ثلاثة من فقهاء الشيعة المتأخرين أخذوا بفكرة " الجهاد الابتدائي"، ويؤكد شعبان أن الحسني البغدادي "الحفيد" قد نقل له ما سمعه من جدّه في مجلسه ما يفيد أنه كتب كتاب " الجهاد الدفاعي" كمبتكر لم يسبقه إليه أحد من كبار الفقهاء التقليديين . وعرّج شعبان هنا ليفرّق بين الجهاد الدفاعي وبين الجهاد الكفائي الذي طرحه السيد السيستاني بعد احتلال داعش للموصل في العام , 2014

**تيارات عدة**

كتاب شعبان وهو أحد المفكرين الفاعلين والمنفتحين على تيارات عديدة يعتبر التفاتة ذكية وجريئة للغاية ، لاسيّما تناوله قضايا عديدة مسكوتاً عنها منذ أمد بعيد وهذا يدلّ على فطنته للبحث في مواضيع محاصرة ولا تستطيع الانعتاق من واقعها المعقّد وبذلك يعبّر عن موقف مسؤول للمثقف العضوي.

إنني حقاً وجدت في هذا المؤلف ما كنت أتساءل عنه طوال السنوات الماضية ، ففيه إجابات شافية ربما تساعدني وتساعد العديد من الباحثين في هذا الميدان على تلمّس الطريق الصحيحة للوصول إلى جوهر العقد الاجتماعية المتعلّقة بعلاقة الدين بالتدين والسياسة وما تجرّه من قناعات إئتلافية أو تصادمية تبين تيارات فكرية ناشطة في المجتمع، بل ويمكنها اللقاء والتفاهم في إطار المشتركات الإنسانية .

غلاف الكتاب

## عن الأب الروحي للقومية الكردية احمد خاني

استغرب كثيرا حين اقرأ ما يكتبه بعض المثقفين الكرد،واتساءل عن سبب هذا الولع بتقليد الغرب،واستخدام قشوره،ونقلها الى بيئة كردية لا يجيد اكثر من تسعين بالمئة منهم القراءة باللغة العربية.ومع ذلك يريد المثقف الكردي ان يسوق نفسه كبضاعة الى عالم اخر بعيد عن حدود كردستان.لكن كيف يفعل ذلك.؟.يفعله بتزيين وبهرج لفظي كأن يضع عنوانا كهذا:عتبات النص،وفعل القراءة،او من السيمياء الى التاويل،او يركض البعض للكتابة عن مدارس او شخصيات لا يقدر المختصون عن الكتابة عنهم لكن الكاتب الكردي يستخدم الانترنت كلص ويقوم بتلفيق نصوص مضحكة ويقدمها على انها كتاب.هذا الوضع الثقافي الذي ينمو بلا توقف يثير انزعاجي جدا لاني اود حقا قراءة كتابات تجعلني اشعر بان هناك صوتا حقيقيا يهمس لي بما يريد ان يقول لكن لم اعثر على شيء مهم.

قد لا يفيدني في شيء لو قلت ان جميع من يمارسون الكتابة او اكثرهم سواء من كتبوا بالعربية ام الكردية هم خونة اصلاء لروح احمد خاني.اقول هذا لاني لا اجد اي تاثير لهذا المتصوف على خط سير الثقافة الكردية.فمنذ القرن السابع عشر والركود الذهني يطبق على افق المعرفة الكردستاني.ومع ان احمد خاني هو شكسبير الكرد واحد الاباء المؤسسين للقومية الكردية الا اني لم اعثر على روحه في كل ما قرأت من نصوص كتبت في حدود كردستان.باستثناء مثقفين او ثلاث على ابعد تقدير.لكن ماذا اعني بروح احمد خاني.؟اعني بها شعوره بفرديته كذات تنسحق في عالم قاس ولا يحتمل.من يقرأ ملحمته "مم وزين" بقلب مفتوح سيشعر بمدى قلق هذا المتصوف الذي اراد ان يمنح الاكراد وجودا فرديا بلا مؤثرات تمسخ شخصية المواطن الكردي.ولو ان خاني عاد اليوم الى المجتمع الكردستاني لاصيب بالجنون مما سيشاهده من اوضاع انتقدها في ملحمته لكنها ما تزال تمارس في اقليم كردستان.سيحس احمد خاني بانه لم يستطع ان ينفخ في قلب المثقف نار الفردية التي دعا اليها واراد اشعالها في قلوب الاكراد جميعا.بلا شك سيعترف بانه فشل في مهمته فشلا واضحا.فذلك المتصوف الذي انقذ روح الكرد من الادب الشفاهي الى الادب المكتوب مستخدما اللغة الكردية مع بعض من العربية والتركية والفارسية تخلص من ضعف قلما يشعر به المثقفون ويتمردون عليه.وهنا تبرز عظمته.هذه العظمة والرفعة والتمرد الذي اضاعه المثقف الكردي الذي يلهث وراء اللعب بالمفردات الشكلية لانه لا يملك اصالة الذات،ولا يعرف مدى الطاقة الايجابية التي اراد خاني ان يقدمها لمن سيجيء بعده.

من هذا المنطلق،وبهذا الفهم ابحث عن روح خاني الحقيقية الاصيلة التي لا تقبل ان تذوب في لعبة الشكل والمصطلح الفارغ.لذا لا تجد اهتماما بذلك المتصوف الذي طور مفهوما جديدا لفردية المثقف الكردستاني التي سقطت سقوطا مخيفا حين ارادت ان تعثر على الاصالة في التقليد.انني ابحث جاهدا عن ضوء حقيقي يجعلني اشعر بان المثقف الكردي يبحث عن ذاته،ويحاول ان يقرأ تاريخه باسلوب اخر بعيد عن التقليد او العصبية.كما انني اتمنى ان يصنع المثقف الكردي مفهوما جديدا للاستعارة يعبر بها عن قلقه وهواجسه.

وعليه ان يعود الى خاني مثلا في التعلم كيف يكتب مونولوغا ناضجا فيه درجة من العمق تسحر القاريء.لكن كيف سيفعل المثقف الكردي هذا الشيء وهو لم يعثر بعد على ذاته الحقيقية التي لم تغرق في كذبة الوهم الفني الذي يخدعه.وما دام المثقف اسير لغة مستعارة فهذا ما سيجعله يبدو تائها في عالم سيتقده لانه فرط بمهمته وتاريخه وحياته.

الفكرة البسيطة التي اطرحها في هذه المقالة هي:على المثقف الكردي ان يحس بمشكلة خاني.

ومشكلة حاني في الاساس مشكلة المثقف الذي ترفضه السلطة في وقته.وكان هذا الرفض يزعجه جدا،ويجعله يوجه سهام نقده الى الامراء في زمنه.نعم انتقد خاني امراء عصره لانهم تهاونوا بمنجزه الابداعي،ومن هنا وضع خاني امامنا مشكلة المثقف والسلطة منذ قرون.وكل ما نتحدث عنه من العداء بين المثقف والسلطة عبر عنه احمد خاني بلغة راقية ساخرة حزينة علينا ان نتاملها،ونتعلم منها.لنقرا نصا قصيرا من ملحمته كي يكون نموذجا على رقي ذهنه.يقول:

فلو كان لنا صاحب ذو لطف وكرم.
وكان العلم والفن والادب والمعرفة والشعر والغزل والكتاب
محط اهتمامه وقبوله
لرفعت راية الشعر الى اعالي السماء

بهذا الشكل يتحدث المتصوف الكبير عن مشكلة المثقف التي لم تجد حلا حتى هذه اللحظة.اذ يشكو المثقفون من تجاهل ونسيان دائم تمارسه السلطة ضدهم.هنا اذن لمحة جديدة لم يكن المثقفون الكرد قادرين على فهمها.لذا لا يسعني الا القول ان الثقافة الكردية اسيرة واقعها الملموس الذي يبحث عن بناء الهوية قبل العثور على الدولة.

نوزاد حسن
بغداد

## التكنوقراط . . تحدي المرحلة المقبلة

الحديث عن التكنوقراط اصبح محبطا للآمال ، فالتكنوقراط الذي نادينا به قبل انتخابات 2010 حينما كان اساس الاستيزار واختيار رئيس مجلس الوزراء على اساس طائفي وحزبي حصر... ذهب إدراج الرياح مع تحول التكنوقراط المستقل الى تكنوقراط سياسي ينضم الى الاحزاب الموجودة ويتنقل بين قوائمها ويفوز ويدخل الى البرلمان والفضل كله للمنصب الذي تبوأه ولنداء تقديم التكنوقراط الذي يفترض ان يغادر الوزير المنصب ليعود الى وظيفته السابقة وان لا يكون نجاحه في المنصب مكسبا شخصيا له والا فإننا نخسر الكفاءات ولن نستطيع تعويضها او الاستفادة منها مرة اخرى لأنها فقدت اهم ميزة لنجاحها وهو الاستقلالية والمهنية.

لقد كانت رسالتنا حول التكنوقراط والتكنوقراط المستقل قبل اكثر من تسع سنوات وعبر مقال في جريدة الزمان بعنوان: عادل عبد المهدي خيار التكنوقراط القادم ، متناغمة آنذاك مع ترشيحه للمنصب اولا؛ ولأنه مقبول من جميع الأطراف الإقليمية والدولية ثانيا؛ وكان يمثل خيار التكنوقراط الذي يؤمل عليه اخراج الوظيفة العامة من اطار المحاصصة الطائفية الى التخصص ، ولو حدث ذلك في حينها لما انجرفت البلاد الى آفة الفساد الذي مازلنا نعاني مرارته لحد الان بعد ان اكل الاخضر واليابس.

واليوم نحن بحاجة الى من يخرج بالتكنوقراط ذاته من اطار السياسة والتمتع بالمناصب والتشبث بها ، ويعود به الى ميدانه الطبيعي في المهنية والتخصص والاستقلالية ، الا ان هذا المطلب يواجه تحديين ، هما:

الاول – ما الضامن في الاختيار ، فاذا كانت الاحزاب الفائزة فإننا خسرنا استقلالية التكنوقراط وبالتالي ادائه المهني الذي سينحاز ويجير بلا شك لصاحب الفضل في اختياره.

الثاني – خسارة الكفاءات المتخصصة والمهنية الغالية والمكلفة جداً ، وللأسف نحن نخسرها دائماً واكبر خسارة هو في دخولها معترك السياسة.

إذن نزاهة الاختيار وخسارة التكنوقراط هما اهم تحديين امام تشكيل الحكومة المقبلة...

وبدلا من البحث عن تشكيل الكتلة الاكبر ومن سيتولى رئاسة مجلس الوزراء او تقليب اوراق نتائج الانتخابات والطعن فيها ، فان على جميع الكتل الفائزة الاجتماع على تحديد ملامح البرنامج الحكومي القادم اولا؛ البرنامج القادر على اخراج البلد من ازماته المتعددة ومن ثم البحث ثانيا؛ عن الشخص الكفوء المؤتمن المستقل القادر على النهوض به وتنفيذه ، وتخويله ثالثا؛ تشكيل الحكومة بلا قيود او تأثير او تدخل حزبي او سياسي او ترشيحات من هنا وهناك ، لان المهنية والتخصص والنزاهة والاستقلالية هي معيار التكنوقراط القادر على النهوض بالمسؤولية بتفاني واخلاص وهو الوحيد القادر؛ لا غيره؛ على تجاوز تحديات المرحلة القادمة.

جواد العطار
كربلاء

مشاهدات

# الذكرى السنوية الأولى لرحيل عزيز محمد

**بغداد - حمدي العطار**

ليس من السهولة أن يلتقي صحفي بسكرتير الحزب الشيوعي الاسبق الذي امضى في هذه المسؤولية نحو 30 عاما من 1964–1993 ، ومن قبل ان يكون المسؤول الاول في هذا الحزب العريق ،كان يمارس العمل السياسي في صفوف الحزب منذ سنة 1945 ،اي ان 50 سنة من حياته كانت عبارة عن تاريخ الحزب الشيوعي لمرحلة سياسية غاية في التعقيد والتطورات والتغييرات الهائلة ، وحينما كنا نمارس هواية السياسة ونحن مراهقون كان اللقاء مع شخصية الامين العام للحزب الشيوعي ضربا من الخيال، كنت اعلم انه بعد ان تنحى من قيادة الحزب يسكن في اربيل ،وحتى لو كان فضولي يجعلني اتساءل عمن يرشدني الى مكان أقامته، وهل يوافق ان التقي به في يوم ما وهو المعروف عنه العزلة وعدم رغبته في الظهور بوسائل الاعلام والصحافة! كان لي لقاء مع احد الاصدقاء الكرد في نقابة الفنانين العزيز (دلير) وهو يتابع ما أنشره في جريدة الزمان بسلسلة مقالات (انا والحزب الشيوعي) فكنا نناقش معا بعض الطروحات التي تخص التحالف الشيوعي البعثي وتداعياته وأذا به يفاجئوني بأنه قد التقى بـ (عزيز محمد) ! عندها اصبح الفضول المجهول والمستحيل حلم يراودني ،عندما ابدى (دلير) قدرته بترتيب لقاء لي مع عزيز محمد عن طريق صديقه الذي يقيم في بريطانيا وهو نسيب عزيز محمد وكان لديه زيارة الى اربيل في الايام القليلة القادمة، تمضي الايام ولم يتصل بي "دلير" ليبلغني بوصول نسيب عزيز محمد من لندن، وتتضاءل فرصة اللقاء الامل لأن رحلتي تقارب على الانتهاء، ولغرض شراء بعض الحاجيات من حلويات وكرزات قمت بزيارة القلعة وسوق اربيل ، كنت اسير بين المحلات فأذا بصاحب محل ينادي (حمدي العطار) التفت اليه فلم اعرفه، مسك يدي وادخلني الى محله متسائلاً :– ألم تعرفني؟ نظرت في وجهه مستفسرا قدم نفسه انا (شيرزاد البقال) صديقك في الفيس! من قال أن الفيس غير مفيد! تذكرت اعجاباته وتعليقاته على منشوراتي ومتابعته للمقالات التي أنشرها في جريدة (الزمان) وانزلها في صفحتي بالفيس وتتناول ذكرياتي مع الحزب الشيوعي"انا والحزب الشيوعي" رحب بي بحفاوة ،وفاجأني بصورته مع عزيز محمد مبديا استعداده بترتيب لقاء معه اذا كنت ارغب بذلك ؟ حينما يتكرر الامر مرتين لا تعد مصادفة، ففي رحلة واحدة الى اربيل قدم لي عرضان للقاء عزيز محمد أذن الحظ والقدر وفرا لي هذه الفرصة الذهبية، وعندما ابديت سعادتي بهذا اللقاء ، اتصل شيرزاد ب(عزيز محمد) وتكلم معه باللغة الكردية، واعطاني هاتفه النقال قائلا: عزيز محمد يريد ان يكلمك، كان صوته خافتاً ولكن الكلمات القليلة التي قالها من تحية وترحيب وتحديد موعد اللقاء ظلت ترن في اذني بنغمات صوته الهادئ الذي فيه بحة تركتها سنوات عمره الثانية والتسعين لكنها عبارات لا تخلو من الوضوح، احسست في ذلك الوقت بشعور من ربح جائزة ثمينة، كنت حريصا للرجوع سريعا الى الفندق لتحضير الاسئلة والافكار والهواجس والحيرة التي كانت دائما تراودني حينما كنا منخرطين بالعمل السياسي ،وبعد ان تركنا الحزب الشيوعي، وحينما اصبحنا كتاباً نتناول مسيرة الحزب بالكتابة والتحليل والنقد ، ها هو عزيز محمد المسؤول الاول عما جرى لنا وللحزب امامي وهو مستعد للقائي غدا صباحا! كان من اللياقة ان ابلغ صديقي (دلير) بما جرى من تطورات في صباح اليوم وعن موعد اللقاء، وبمجرد الاتصال به واخباره بما جرى ، رد :– عظيم حتى ان نسيب عزيز محمد سيصل الليلة من لندن وسوف اصطحبك معي الى بيت عزيز محمد، قضيت الليل كله في وضع الاسئلة التي يمكن ان تستدرج عزيز محمد ليكون معي صريحا وواضحا ويتخلى عن تحفظه، بدلت الاسئلة عدة مرات واعدت كتابتها ومزقتها ،في النهاية حددت المحاور التي سوف تدور حولها المقابلة (تاريخ الحزب– الموقف من عبد الكريم قاسم– تسلم عزيز محمد سكرتارية الحزب– الانشقاق – التحالف مع البعث– انهيار الجبهة– الموقف من الحرب العراقية الايرانية–انهيار الاتحاد السوفيتي– النموذج الصيني– تنحي عزيز محمد في المؤتمر الخامس 1993– رأيه بمشاركة الحزب الشيوعي بمجلس الحكم– وضع الحزب الشيوعي الكوردستاني – موقفه من الأزمة الأمنية والسياسية والاقتصادية) كان لي لقاءان مع عزيز محمد الاول تكلم فيه بعفوية وكانت الشفافية حاضرة في اللقاء من خلال ما يختزنه من معلومات مهمة وخطيرة استغرق ثلاث ساعات ، تبسط بالحديث الشعبي، استعان بالأمثال ،حتى حينما انتهى اللقاء وأراد ان يتكلم بموضوع خاص طلب مني ان اغلق الة التسجيل ! وبعد ان انتهى اللقاء وأردنا ان نلتقط الصور ، سألني :– هل كل هذا الكلام سوف تنشره؟ قلت له :– نعم! قال اذن لا تنشر الا بعد موافقتي!

**لقاء نقاش**

لذلك خضع اللقاء الاول للنقاش والى الامتناع حتى توصلنا الى اتفاق آخر ان ارسل له اسئلة تكون اجابته عليها ليست شفهيا ومن ثم نلتقي مرة ثانية، فعلا ارسلت له 15 سؤالاً واجاب عليها وكان املي ان يختار بعض الاسئلة واجوبتها من المقابلة الاولى لكنه رفض نشر المقابلة الاولى واحترمت رأيه وقدمت له نص المقابلة الاولى هدية تقديرا لمسيرته النضالية في الحزب بالرغم مما تحمله هذه المقابلة من معلومات واراء هو نفسه عزيز محمد يقول (عمري ما تكلمت عنها وكشفتها لأقرب الناس ،وانا زعلان منك لأنك استدرجتني بالأسئلة والنقاش) ،انطباعاتي عن عزيز محمد عندما ينسى نفسه ويتبسط بالحديث يكون شفافا وصريحا عكس طبيعته (الحذرة) !ويكون مرحا مازحا على غير جديته فهو عندما نطلب منه ان ينهض لغرض التصوير يردد جملة (يا خدا ) بالكردي أي (يا الله) بالعربي، كان يشكو من الوحدة ويقول (الله وحده يحب ان يكون وحيدا) اما عن المرأة والزواج فهو يقول بحنان (الزوج والزوجة حينما يكون بينهما الحب ، كل تصرف وموقف يكون له معنى جميل ، النظرة، الابتسامة، تقديم فنجان القهوة، كل شيء يصبح رائعا، ولا يحس الانسان مع الحب بالملل) وحينما قلت له (لماذا لم تتزوج وتقضي على ظل الوحدة الثقيل) ؟ اجابني" قالوا لي ذلك من قبل ! قلت لهم لقد كبرت الان! قالو اكو حبوب ! قلت الحب الي يجي من الحبوب ما ينراد !" حينما يكون تلقائيا تحس احيانا بإنه ليس عزيز محمد الرجل الاول في الحزب بل احيانا تقول انها اجوبة ليست (شيوعية) عندما سألته عن تأثر بعض قيادات الحزب الشيوعي بالتجربة الصينية وبشخصية (ماو) لم يجبني كما كنت اتوقع منه كشيوعي "بأن الصين والعراق من الدول التي تعتمد على الزراعة وليست دول صناعية فيها حركة عمالية" بل كانت اجابته بعيدة عن الفكر السياسي الشيوعي قائلا " نحن والصين متشابهان لأننا شرقيان"!

**انهيار الاتحاد**

اما عندما سألته عن اسباب انهيار الاتحاد السوفيتي، فكانت اجابته فيها طابع (السياحة) وليس الفكر السياسي العميق قائلا( اهمل الاتحاد السوفيتي الحاجات الاستهلاكية البسيطة للمواطنين ) ويقصد (الويسكي، والجينز الكابوي وغيرها) كنت اتوقع منه اجابة شيوعية عقائدية تقول (كان السوفيت مشغولين بتدبير التدفئة والخدمات الصحية والكهرباء والتعليم والسكن والملابس والاحذية لكل مواطن سوفيتي 250 مليون يحتاجون هذه الاشياء! لكنه لم يقول كما كنت اعتقد،فقلت مع نفسي هل يعقل ان يكون عزيز محمد ليس شيوعيا ؟! تبقى شخصية (عزيز محمد ) شخصية اشكالية وغامضة ،ونحن في الذكرى الاولى لرحليه 5/31 نستذكره بهذا المقال ونقول له (نم قرير العين يا ابا سعود).

عزيز محمد في لقاء سابق مع الكاتب